

التدخل المغربي بتلمسان (1830-1832م) بين الاستنجد والاحتلال.

The Moroccan intervention in Tlemcen (1830-1832 AD) between invocation and occupation

عز الدين بن سيفي

طالب دكتوراه، قسم التاريخ جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان.

الملخص:

يتناول المقال مرحلة مهمة من تاريخ مدينة تلمسان والغرب الجزائري، وهي المدة التي تم فيها احتلال الجزائر من طرف فرنسا وسقوط السلطة العثمانية، وتوجه بعض الأنظار إلى الاستنجد بالمغرب الأقصى وحكومته الممثلة في السلطة العلوية لإنقاذ الوضع السياسي الكارثي، وموقف القبائل والشخصيات الجزائرية والهدف الحقيقي للمغرب وراء الرغبة في بسط النفوذ على الغرب الجزائري، وموقف فرنسا وبريطانيا من هذه المسألة

الكلمات المفتاحية:

تلمسان، الاحتلال الفرنسي، المغرب الأقصى، الدولة العلوية، الكراغلة، العثمانيون.

Abstract:

The article deals with an important stage in the history of the city of Tlemcen in particular and the Algerian west in general, and it concerns the period of the occupation of Algeria by France and the end of the rule of the Ottoman authority in Algeria.

And trying to determine the view point of Morocco and its government represented in the Alawite authority to save the catastrophic political situation, then know the position of the Algerian tribes and personalities and the real goal of Morocco behind the desire to extend influence over the Algerian West, and the position of France and Britain on this issue.

Keywords: Tlemcen, the French occupation, Morocco, the Alawite state, the Kouloughlis.

تقديم:

إذا كان بعض المؤرخين - سواء منهم المعاصرون للأحداث أو غيرهم - ممن كتبوا لاحقاً في موضوع موقف المغرب الأقصى من الغزو الفرنسي للجزائر لا يختلفون حول مسألة التدخل المغربي في تلمسان بعد استنجد سكان الغرب الجزائري بسلطان المغرب، فإنهم يختلفون في مسألة طبيعة هذا الوجود أشد اختلاف، فالكتابات الفرنسية لا تتردد في اعتبار هذا الوجود احتلالاً مباشراً، ولعل ما يؤكد ذلك، ما كتبه المؤرخ كور COUR وبعده جوليان JULIEN على سبيل المثال لا الحصر، وفي المقابل مازالت الكتابات الجزائرية والمغربية غير متفقة على الأقل في كُنه هذا الوجود وأبعاده الجوهرية. ومن هنا نطرح التساؤلات التالية:

- ما هي الظروف التي دفعت إلى تدخل المغاربة في تلمسان ؟
- ما طبيعة الوجود المغربي في المدينة ؟
- هل حقق هذا الوجود أهدافه ؟

وللإجابة على هذه التساؤلات ينبغي استعراض جميع الحثيات والأحداث التي طبعت هذه المرحلة الحرجة من تاريخ الجزائر والمنطقة الغربية منها على وجه الخصوص، حيث شكّل موضوع استنجد سكان الغرب الجزائري بالسلطان عبد الرحمن المغربي، ثم الوجود المغربي في تلمسان جدلاً كبيراً بين الباحثين الذين عالجوا وقائع الغزو الفرنسي للجزائر سنة 1830م، وما تلاه من أحداث، ولعل ما يؤكد هذا الجدل اختلاف وجهات النظر بين ما كتبه المصادر الجزائرية، والمصادر المغربية في موضوع تلك الرسالة التي وجهها أعيان تلمسان عشية غزو الفرنسيين للجزائر، طلباً للنجدة والدخول في بيعة سلطان المغرب، وتختلف المصادر المشار إليها آنفاً في أمور كثيرة، وخاصة فيما تعلق بمصدر الرسالة ونصها، فالمازاري ينسبها إلى الباي حسن وفي ذلك يقول: «...ولما سمع الباي بذلك بعث لسلطان المغرب وهو السيد مولاي عبد الرحمن بن هشام الشريف العلوي بالقدم؛ ليتولى على المغرب الأوسط ويضيفه للأقصى... ويكون هو من جملة نوابه فهو الأولى به من الروم...»¹.

أما السلاوي صاحب الاستقصا فيعوزها إلى أهل تلمسان وقوله في ذلك: «... ولما وقع بأهل الجزائر ما وقع اجتمع أهل تلمسان وتفاوضوا في شأنهم واتفقوا على أن يدخلوا في بيعة السلطان المولى عبد الرحمان رحمة الله...»²، كما جاء في الحلل عن المشرفي نفس الرأي: «... ولما عاين أهل وطن الجزائر ذهاب الترك وخراب ملكهم ونزل بهم ما لا طاقة لهم به، اجتمع بعض الأعيان من أهل الحل والعقد، والعلماء والأشراف لينظروا في أمرهم، فاتفق رأيهم على الدخول في طاعة المولى عبد الرحمان ومبايعته، فكتبوا بذلك إليه وعينوا جماعة منهم للوفادة على السلطان تأكيداً للطلب واستعجالاً لحصول هذه الأرب...»³، وذكر حمدان خوجة صاحب المرأة أن طلب الاستنجد صدر عن سكان مدينة تلمسان بعد الفوضى التي عرفتها المدينة جراء صراع الكراغلة والحضر من العرب «...وحتى لا تسود الفوضى، طلب من سلطان المغرب أن يتدخل ليضع حداً لهذه الحرب الأهلية...»⁴.

أمّا تشرشل والذي استقى الأحداث من الأمير عبد القادر، فينسب الرسالة إلى الشيخ محي الدين⁵ والد الأمير، إذ أورد جواب محي الدين ردّاً على طلب تولّيه ومبايعته على المنطقة الوهرانية «... وليس هناك حاجة إلى أن نذهب بعيداً للبحث عن هذا الملك أن سلطان المغرب قد عبر عن عاطفته نحونا، ويجب أن يعرف أن الخطر الخارجي الذي يهددنا نحن اليوم قد يهدده هو غداً... إن حضوره بيننا يشجع ويدعم حالاً الخير ويصرف الشر»⁶.

أما الحاج مصطفى بن التهامي فينسب الرسالة إلى شيوخ وأكابر الغرب: «...وكان عند دخولهم وهران أجمع عزم أهل وطننا أن يسندوا أمرهم إلى سلطان فاس ظانين أنه على شيء... فكتبوه مستنجدين شاكين له ضرهم»⁷.

ويتضح مما سبق أن كل المصادر تلتقي في مسألة استنجد الجزائريين بالمغرب، إلا أنهم يفترون في مسألة مصدر الرسالة والتي نَحَسِب أنها كانت بإجماع سكان الناحية الغربية للجزائر، ولكن الوفد انطلق من مدينة تلمسان. وسبب

اختلاف المصادر في شأن مصدر الرسالة: أنَّ المؤرخين المغاربة كثيراً ما اقتصرُوا على ذكر تلمسان وهم يقصدون المنطقة الغربية، دأبهم في ذلك دأب من سبقهم. كما نرى أيضاً أنَّ الرسالة كانت غير مكتوبة بل شفوية، سمعها السلطان من الوفد مباشرة، بالإضافة إلى أنَّ لجوء سكان الناحية الغربية إلى الاستنجد بسلطان المغرب سبَّبَه الفوضى التي أعقبت نزول الفرنسيين في الجزائر، وحجتنا في ذلك أنَّ الوفد الذي عرض على السلطان أمر الانضواء تحت سلطة المغرب خرج من تلمسان في أوائل شهر سبتمبر 1830م، إذ كانت المنطقة الغربية - الوهرانية - وقتئذٍ ما زالت ترزح تحت حكم العثمانيين، وسنحاول فيما يلي البحث عن رحلة الوفد وما ترتب عن ذلك من أمور.

حَسَبَ كور Cour فإن فكرة الاستنجد بسلطان المغرب كانت من أحد كبار التجار المغاربة⁸ بتلمسان⁹، ويبدو أنَّ هذا الأخير استغل الوضع وذهب ينشر أفكاراً جاءت تمهد لبيعة السلطان¹⁰، وبعد هذه الدعاية الناجحة اجتمع أعيان الغرب الجزائري على أمر الاستنجد بالمغرب، فانتدبوا وفداً¹¹ توجه إلى وجدة حسب تعليمات بن نونة للقاء عاملها القائد إدريس الجاروي¹²، ليتوسط لهم عند السلطان¹³، ثم قصد الوفد مع الجاروي مكناسة، أين استقبل السلطان عبد الرحمن البعثة فأكرمهم وأحسن استقبالهم¹⁴، ووعد بدراسة مطالبها¹⁵، وكان السلطان في مكناسة ولا ندري هل مكث فيها طيلة الشهرين الماضيين، لأنه وقَّوْرَ سماعه خبر استيلاء الفرنسيين على الجزائر، ارتحل في أواخر شهر جويلية من مراكش إلى مكناسة.

عندما عرف السلطان سبب قدوم الوفد حَارَ في الأمر رغم استحسانه: «... ولما صرحوا له بمرادهم توقف في ذلك وهو إلى قبول طلبهم أميل...»¹⁶، ثم عرض ذلك على العلماء، ويبدو أنَّ السلاطين المغاربة كانوا قد دأبوا على استشارة الفقهاء والعلماء في مثل هذه المسائل التي كانت تعتبر من النوازل¹⁷.

هذا وقد جاء في كتاب الحل والاستقصا أنَّ سبب توقف السلطان في جواب الوفد الجزائري، مرده أنَّ العلماء الذين استفتاهم السلطان في شأن البيعة أجابوه بنقيض الطلب وتحجَّجُوا بأنَّ الجزائريين مازالوا مُقيمين على بيعة العثمانيين، وفي هذا يقول المشرفي: «...إلا أنه أراد موافقة الشريعة النبوية، فاستفتى في ذلك علماء فاس، واستشار فيه قاضي الجماعة بها صهره وابن عمه المولى عبد الهادي وكان سديد الرأي وحبرا من أحبار الإسلام فكفه عن إجابته بقوله: أنهم في القديم يخطبون باسم العثماني فمالهم لا يذهبون إليه وهم مطوقون ببيعته؟...»¹⁸، وجديرٌ بالتنويه هنا أنَّ بعض الفقهاء ممن حضروا النازلة أفتوا بقبول البيعة.

رجع الوفد إلى تلمسان بعد أن رفض السلطان قبول بيعتهم مُتحجِّجاً لهم بأنهم في أعناق العثمانيين، ولما علم سكان تلمسان بذلك، عقدوا مجلساً علمياً وأفتوا بتحللهم من بيعة العثمانيين¹⁹، ثم أرسلوا وفداً جديداً يترأسه كبير حضر تلمسان القائد بورصالي وبعض أعيان وشيوخ المنطقة: ملامان ورمضان تريكي وبن ددوش وقرمالة وأغا الدواير مصطفى بن إسماعيل²⁰ وأغا الزمالة المزاري²¹⁻²²، ويذكر السلاوي أنَّ الوفد حمل رسالة²³ تضمنت أسباب فسخ بيعة العثمانيين، فدخلوا بها على السلطان في فاس، وكانت حُجَّتُهم حسب ما ذكره المشرفي: «... أنَّ العثماني حيل بينه وبينهم بإيالات وبحور يتعذر بها الوصول إليه الأيام والشهور ويتعين على السلطان إجابتهم لقربه منهم واتصاله بهم براً وبحراً...»²⁴.

ومما يكن أنَّ نستقيه من رسالة أهل تلمسان التي ذكرها السلاوي - والتي يقول عنها المؤرخ أبو القاسم سعد الله بأنها غير موقعة-²⁵، أنَّ الأوضاع في الجزائر كانت مضطربة وأنَّ الحكم العثماني انتهى بتوقيع الاتفاقية بين الداي والفرنسيين، فاجتمع الرأي على أمر الاستنجد بسلطان فاس، ولاسيما أنَّ الأوضاع كانت مضطربة، وقد ذكر تشرشل أنه وبعد سقوط وهران، عمت الفوضى والاضطرابات وكثر النهب والسلب.

ويظهر من خلال الرسالة أيضاً أنّ الجزائريين فسخوا طاعتهم للعثمانيين الذين كانوا قد تنصلوا من مسؤولياتهم، فباستسلام كل من الداوي حسين وباي وهران وإبعادهم من الجزائر رفقة حامياتهم العسكرية، لم يبق أمام السكان إلا البحث عن سلطة تقوم بإدارة أمور الناس.

قَبِلَ السلطان بيعة الوفد التلمساني بعد ستة أشهر من الأخذ والرد، وَوَلَّى عليهم ابن عمه المولى علي بن سليمان، وتذكر المصادر أنّ الخليفة الجديد عيّن في مدينة تلمسان²⁶، كما بعث السلطان عبد الرحمن مع الخليفة الجديد حامية عسكرية²⁷ ضمت 500 فارس من النخبة الذين تم اختيارهم من جيش العبيد والأودايا، بالإضافة إلى 100 جندي من رماة المدفعية الذين تم جلبهم من الرباط وسلا²⁸.

ولما كان الخليفة الجديد حديث السن لم يتجاوز 15 سنة²⁹، فقد عزز السلطان جنّابه بالقائد إدريس الجراوي عامل وجدة، وفي هذا يقول السلاوي «...وكتب إلى عامله القائد إدريس يستوصيه بالجميع ويكون بصيرة عليهم وأشركه في النظر والرأي مع المولى علي بل الاعتماد في الحقيقة إنما كان عليه...»³⁰، ولإعطاء طابع الشرعية لقيادة الجراوي على المحلة بعث السلطان كتاباً على لسان وزيره أبي عبد الله بن إدريس إلى الجراوي، ومما جاء فيه: «...واعلم أن مولانا أنتخبك من وسط أبناء جنسك وقربك منه وما زالت لديه في الترقّي فإلله الله فكأن عند الظن بك...»³¹، كما كان من بين المرافقين للأمير العلوي الصغير ضابطان من العبيد وهما زينون والطاهر بن فرحون³²، وبعض المستشارين والقضاة كالحاج العربي الوزاني³³، بالإضافة إلى كبار قادة جيش الأودايا الطاهر المغافري وابنه أحمد المغافري وأحمد بن المحجوب³⁴.

وصل الخليفة العلوي إلى تلمسان في نهاية شهر أكتوبر 1830م³⁵، وكان في استقباله حضر تلمسان خارج المدينة³⁶، أما الكراغلة الذين كانوا متحصنين في قلعة المشور منذ سقوط الحكم التركي في الجزائر بسبب حقد العرب عليهم³⁷، فقد اكتفوا بتقديم الهدايا للوافد الجديد، ولما كان المشور قلعة وقصراً للحكم في تلمسان، فقد طالب الخليفة العلوي من الكراغلة تسليمه القصر لانتخاذه مقراً للإمارة، إلا أنّ الكراغلة رفضوا طلبه³⁸.

وأمام تعنت الكراغلة بدأ أول امتحان للخليفة العلوي الجديد في فرض سلطته على المدينة، أين اضطر إلى محاصرتهم ومصادرة أملاكهم خارج المدينة³⁹، ومما تجدر الإشارة إليه أنّه وبعد الحصار الذي ضربه الجيش المغربي على الكراغلة في المشور انقسمت قبائل المخزن⁴⁰ أنصار الكراغلة في بيعة المولى علي، فانسحب ابن إسماعيل بالدواير إلى وهران، أما المزارعي ففضل البقاء في تلمسان.

بعد أن استتب الأمر للأمير العلوي في تلمسان، خرج منها رفقة مستشاريه يطوف في القبائل لأخذ البيعة للسلطان⁴¹، ويظهر أنّ الأمير العلوي خرج للقبائل التي تخلفت عن المجيء إلى مبايعته في تلمسان، ونذكر أنّ بعض شيوخ القبائل كانت قد وفدت إليه - أي المولاي علي - بعد نزوله بتلمسان، وفي هذا يقول تشرشل: «...وقد أسرع محي الدين وعبد القادر مع كل رؤساء بني هاشم ورؤساء بني مجاهرو بني عامر، وغيرهم من القبائل، لكي يعلنوا ولاءهم للابن وممثل السلطان الجديد...»⁴².

وفوّز رجوعه إلى المدينة استقبل وفداً من الكراغلة يشرحون له أسباب عدم تخليهم عن القلعة⁴³، وكان من بين المؤفدين القائد بورصالي وابن إسماعيل، إلا أنّ الأمير العلوي لم يقتنع بتلك الحجج فأمر بأسرهم⁴⁴، ثم بعثهم مصقّدين في الأغلال إلى فاس⁴⁵ لينظر السلطان في أمرهم.

أثار هذا التصرف حقد سكان تلمسان، وزاد الأمور سوءاً أن كتيبة من الجيش التي رافقت الأمير العلوي - وأغلبهم من الأودايا - قامت بنهب أموال وأثاث⁴⁶ القبائل المجاورة لوهران، ويشير المزارعي إلى ذلك فيقول: «...ثم جاء جيش المولاي علي لغنم المخزن التي بوهران فأخذها عن آخرها...»⁴⁷، كما ذكر السلاوي هذه الحادثة أيضاً: «...ثم

سرى ذلك للاختلاف في قوات الجيش فتنافسوا وتحاسدوا وكثر القيل والقال منهم على السلطان ثم ختموا عملهم بانتهاب أثاث الكراغلة ومال الزمالة الدوائر وماشيهم...»⁴⁸.

ويبدو أنّ السلطان لم يكن راضياً عن الطريقة التي يُسيّر بها ابن عمه الأمور في تلمسان، ولكي يهدئ الأوضاع أطلق سراح المعتقلين في فاس الذين بعثهم ابن عمه من تلمسان، وكان على رأسهم الحاج مصطفى بن إسماعيل وقائد الحضر الكرغلي بورصالي، وزيادة على هذا فقد أكرمهم السلطان بكثير من الهدايا وألبسهم حُلِي شرفية⁴⁹. ولعلّه في الوقت الذي كان السلطان يحاول إرضاء بن إسماعيل والقائد الكرغلي بورصالي في فاس، كانت الأمور تزداد سوءاً في تلمسان بين الكراغلة والأمير العلوي، هذا الأخير الذي تعرضت محلته للنهب من قبل الكراغلة بمساعدة الشيخ بلغماري قائد قبيلة أنجاد⁵⁰.

مما زاد الطين بلةً آنئذٍ علّم الفرنسيين بوجود خليفة عن السلطان في تلمسان⁵¹، فوجهت الحكومة الفرنسية استفساراً بتاريخ 30 ديسمبر 1830م على لسان قنصلها بطنجة للسلطان، الذي ردّ حسب ما جاء عن جولييان بأنّ المغرب له حقوق في تلمسان ومن واجبه أيضاً حماية المسلمين⁵². وفي المقابل أوفد كلوزيل مرة أخرى الكولونيل أوفري للمغرب لتقديم احتجاج، لكن أوفري رجع دون إنجاز مهمته لأن عامل طنجة منعه من ذلك⁵³.

وقد اتخذت بريطانيا التي كانت تبحث عن موطنٍ قدم لها في المنطقة المغاربية، موقفاً من الوجود المغربي في تلمسان، حيث يذكر رنجز في كتابه أن قنصل بريطانيا إدوارد هاي، قد نصح السلطان عبد الرحمن بسحب جيشه من تلمسان، لأنّها حسب قنصل بريطانيا تقع ضمن نفوذ الفرنسيين، كما حذر هاي السلطان من مواجهة الفرنسيين، وإن حدث ذلك فلا يعتمد السلطان على الدعم البريطاني⁵⁴.

أما الأمير العلوي الموجود بتلمسان، والبعيد عن أخبار طنجة والتهديدات الفرنسية، فقد كان يحاول ضبط أمور المدينة وجيشه الذي كان يفتقد الكثير من الانضباط، ولما ضاق ذرعاً بهذه المصائب وخاصة أنّه حديث السن، راسله السلطان في ذلك⁵⁵، فكتب له كتاباً يلزمه فيه بالرجوع إلى فاس: «ولد عمنا الأرشد مولاي علي... والعمل على ما قدمنا لكم من جمع المتفرقين من المحلة والقُدوم فوراً...»⁵⁶. وكان رجوعه في أواخر شهر جويلية من سنة 1831م وبذلك تصل مدة مكوثه في الجزائر سنة كاملة.

ولئن كان السلطان قد سحب ممثله بسبب عجزه عن أداء وظيفته، فإنه من جهة أخرى قام بمناورة الفرنسيين، حيث أبدى لهم استجابته لتهديداتهم، بينما عوض ابن عمه بخليفة جديد اسمه الشريف محمد بن العامري قائد قبيلة بني حسن الذي دخل تلمسان في 16 أوت 1831م⁵⁷ رفقة مصطفى بن إسماعيل وحامية تتكون من 100 جندي من العبيد⁵⁸، وفور نزوله بمعسكر⁵⁹ سهر على وضع جهاز إداري حسب تعليمات السلطان، فنصب على مليانة الشريف محمد الشرقي والشريف المعطي على المدينة، إضافة إلى توزيع أتباع يشرفون على تسيير أرياف الناحية الغربية⁶⁰.

رحب سكان المدينة ومليانة بممثلي السلطان، فيما كانت الإشاعات تتحدث عن دخول السلطان بنفسه لتحرير البلاد⁶¹، إلا أنّ الأمور سرعان ما اضطربت من جديد، حيث ثارت قبائل المخزن ضد العامري في مارس 1832م جهة مستغانم وحاصرته في معسكر⁶². ثم خرج الشريف العامري من معسكر باتجاه تلمسان، أين حاول دخول قلعة المشور لكنه فشل بعد تصدي الكراغلة له بمساعدة الشيخ الغماري كبير أنجاد، وبعد عجز أبي العامري ممثل السلطان المغربي في البقاء بتلمسان خرج منها إلى المغرب. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّه بعد خروج العامري عن تلمسان نصب الباشا محمد بنونة ممثلاً للسلطان في تلمسان هذا الأمر الذي لم تتحدث عنه المصادر المغربية والجزائرية، فحسب كور⁶³ cour بقي بنونة يمثل السلطان حتى وصول الأمير عبد القادر إلى تلمسان أين اقتنع سكانها بطاعة الأمير⁶³.

ومما يثير الدهشة في موضوع الوجود المغربي في الجزائر، أنه بالقدر الذي أثاره هذا الحضور من خلاف بين المصادر التي تناولت في البداية أمر الاستنجد، اختلفت أيضاً اختلافاً واضحاً في سرد كيفية الانسحاب، فالمصادر المغربية كلها اكتفت بذكر فصول المولاي علي من هذا التواجد، كما أرجعت سبب انسحاب المغاربة من تلمسان إلى تمرد بعض فصائل الجيش الذي رافق المولاي علي إلى تلمسان: «... وفسد العمل وخاب الأمل فحينئذ رأى السلطان استرجاع تلك الجيوش التي لم يبق طمع في صلاحها...»⁶⁴. والسؤال الذي نطرحه هنا وبإلحاح: لماذا غيّبت المصادر المغربية الضغوط التي مارستها فرنسا وبريطانيا على السلطان وخاصة أن أمرها كان معلوماً؟

أما تشرشل الذي تحدث عن الخليفة الثاني بإيجاز، فيرجح أن سبب انسحاب المغاربة من تلمسان، هو ضغوط الحكومة الفرنسية على المغرب: «...اطلعت الحكومة الفرنسية على العلاقة الجديدة بين عرب الجزائر وبين السلطان عبد الرحمان، فأرسلت في الحال إنذاراً إلى السلطان بالانسحاب العاجل أو الحرب، ولكن عبد الرحمان لم يكن تماماً مستعداً للبد في الخصام أرسل في الحال الأوامر إلى ابنه بالعودة...»⁶⁵.

ورغم تعارض مبررات انسحاب المغاربة من تلمسان، إلا أن الوجود المغربي زاد من المشاكل التي كان يعاني منها هذا القطر من الجزائر، حتى قالت بعض المصادر إن الفوضى التي تركها المغاربة بعد خروجهم كانت أكبر مما كانت عليه قبل مجيئهم⁶⁶، ومن ذلك أيضاً ما تحتفظ به أدبيات تلك الحقبة المتقدمة من تاريخ الجزائر المعاصر، فهي هو أحد الشعراء الذين عايشوا الحدث يصف الأوضاع التي أعقبت انسحاب المغاربة:

أهال للمغرب الأوسط ضاعا	وبان وهنه ومن به جاعا
تراكمت أهواله وزادت	به الشدائد الفساد ذاعا
جاء به للحكم أهل فاس	فجاسوا خلال دياره سراعا
وحلوا وابرموا الحكم بظلم	ودبت فيها اجراه ضباعا
كان على التحقيق ليست	به رجال قد قهروا سباعا
لا غزو يا علوين يحل	بكم ما بني سعد قد عاعا
فانه قبلكم قد جاء وا	لمغربنا وقد ذهبوا جزاعا
راوا من باسنا ما ليس يرى	واسيا فنا للحوهم قطاعا
بنادقنا رصاصها مصيب	لهم بكل حالة وقاعا ⁶⁷

الخاتمة:

من خلال دراستنا موضوع الوجود المغربي بتلمسان (1830-1832م) اتضح لنا أن هذا الوجود كان نتيجة استنجد أعيان تلمسان بسلطان المغرب من أجل التدخل لإصلاح الأوضاع التي آل إليها الإقليم الغربي من فوضى واضطرابات عقب سقوط حكومة الأتراك في وهران، فوجه السلطان ابن عمه لينوب عنه في تلمسان، إلا أن هذا الأمير العلوي صغير السن أخفق في مهمته، وتعقدت أكثر عندما تمرد عليه بعض فصائل جيشه. وهو ما دفع السلطان إلى سحب هذا الجيش ولا سيما بعد الضغط الفرنسي المتكرر.

الهوامش:

- ¹ - بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا، تحقيق: يحيى بوعزيز، ط1، دار البصائر، 2007، ص88.
- ² - أحمد بن خالد الناصري السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، مج3، ط1، دار الكتاب العلمية، بيروت، 2007، ص286.
- ³ - محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي، الحلل الجبهة في ملوك الدولة العلوية، ج2، تج بوهليلة إدريس، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، ط1، 2005، ص72.
- ⁴ - حمدان خوجة، المرأة، تق وتغ وتح محمد العربي الزبيري، منشورات ديوان المطبوعات الجامعية، 2006، ص56.
- ⁵ - هو محي الدين بن مصطفى بن محمد بن أحمد بن المختار والد الأمير عبد القادر ولد حوالي سنة 1759م بالقيطنة في إقليم وهران ورع في العلم وتبحر فيه، كان من إتباع الطريقة القادرية ومؤيديها، وبعد وفاة ولده أصبح مقدم الطريقة القادرية وشيخ زاوية القيطنة التي عرفت آنذاك إشعاعاً دينياً وثقافياً. ينظر: محمد الطيبي، الجزائر عشية الغزو الاحتلالي دراسة في الذهنات والبنيات والمآلات، ط1، ابن النديم، للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص173-174.
- ⁶ - شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974، ص52.53.
- ⁷ - مصطفى بن التهامي، سيرة الأمير عبد القادر و جهاده، تح وتغ وتغ: يحيى بوعزيز، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص126.
- ⁸ - هو محمد بن نونة تاجر مغربي ينحدر من عائلة ثرية من فاس استقر بتلمسان، ولعب دوراً بارزاً في التوسط بين سكانها والسلطان، أصبح بعد وصول المولى علي من مستشاريه المقربين، ثم تولى القيادة في تلمسان بعد رحيل العامري، كما كان له دور دبلوماسي بين الأمير والسلطان. ينظر: COUR. A. «L'occupation Marocaine de Tlemcen: septembre 1830», in RA, N°: 52, Alger, 1908, p 32.
- ⁹ - Ibid, p 33.
- ¹⁰ - L. Voinot: Oudjda et l'Amalat (Maroc), Extrait SGAPO, Oran, 1912, p296.
- ¹¹ - كانت البعثة حسب تشرشل مكونة من عشرة أعضاء، هم من أهم المرابطين والشيوخ تأثراً مع حامية تتكون من خمسين فارساً، وقافلة من البغال محملة بالهدايا. ينظر: تشرشل، مصدر سابق، ص53.
- ¹² - هو عامل وجدة أبو العلاء إدريس بن حمان الجراي. منذ سنة 1827م خلفاً لسيدي محمد ابن الطيب الذي عزله السلطان بعد أن عجز عن رد باي وهران الحسن، بعد أن توغل هذا الأخير في الحدود المغربية لمطاردة الدرقاوي.
- ¹³ - أحمد الناصري السلاوي، مصدر سابق، ص286.
- ¹⁴ - نفس المصدر، ص286.
- ¹⁵ - تشرشل، مصدر سابق، ص53.
- ¹⁶ - المشرفي، مصدر سابق، ص72.
- ¹⁷ - أدرجت هذه المسألة ضمن كتاب النوازل الكبرى فيما لأهل فاس وغيرهم من البدو والقرى، والمعروف باسم المعيار الجديد الجامع المغرب عن فتاوى المتأخرين من علماء المغرب، لصاحبه العلامة أبي عيسى المهدي الوزاني. ينظر: ص56.
- ¹⁸ - المشرفي، مصدر سابق، ص72.
- ¹⁹ - نفس المصدر، ص72.
- ²⁰ - ولد بن إسماعيل سنة 1770م بمعسكر يرجع نسبة إلى أولاد بن عفان من أولاد ببكر الذين يطلق عليهم اسم الدوائر بعد أن أصبحوا أعواناً لبايات وهران وهو عم الحاج محمد المزاري وكان مصطفى بن إسماعيل في خدمة الأتراك بوههران حتى دخلها الفرنسيون، فالتحق سنة 1831 بالكراغلة المتحصنون بقلعة المشور ومكث فيها حتى دخلها كلوزيل سنة 1836، ومنذ ذلك الوقت صار بن إسماعيل في خدمة فرنسا حيث شارك مع بيجو في معركة سكاك أين حاز على لقب مرشال توفي 1843، ينظر: سيرة الأمير عبد القادر، مصدر سابق، ص151.
- ²¹ - المزاري: ولد سنة 1774م بمعسكر. التحق بالجيش التركي وتدرج في الرتب حتى أصبح يلقب آغا العرب، بدأت شهرته تظهر بعد قضاءه على ثورة الشريف الدرقاوي سنة 1805 في عهد الباي محمد المقلش وبعد احتلال فرنسا للجزائر كان من السابقين لعرض فكرة الاستسلام على الباي حسن وبعد خروج المولاي علي من تلمسان تقرب من كلوزيل الذي عينه آغا تحت تصرف داي مستغانم، ينظر: الأمير

عبد القادر، مذكرات الأمير عبد القادر، تح محمد الصغير بناني وآخرون، ط7، دار الأمة، الجزائر، 2010، ص151- بن عودة المزاوي، مصدر سابق، ج2، ص288.

²² - Cour, op, cit, p32.

²³ - للاطلاع على نص الرسالة ينظر: السلاوي، مصدر سابق، ص297.

²⁴ - المشرفي، مصدر سابق، ص72.

²⁵ - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 199، ص165.

²⁶ - عبد الرحمن بن زيدان، إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس، ج5، تح علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2008، ص33.

²⁷ - Ismael Hamet: « Le Gouvernement Marocain et la conquête d'Alger, in Académie des sciences coloniales », Annales, Vol 1, 1925, pp 64 65.

²⁸ - Cour, op, cit, pp 36 37.

²⁹ - CHARLES André Julien: « histoire de l' Algérie contemporaine la conquête et les débuts de la colonisation 1830-1871 », éd casbah, Alger, 2005, p70.

³⁰ - السلاوي، مصدر سابق، ص287.

³¹ - نفس المصدر، ص289.

³² - Cour, op, cit, pp 37..

³³ - عبد الرحمن بن زيدان، مصدر سابق، ص33.

³⁴ - إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، مج1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1978، ص190.

³⁵ - Ibid, p 36.

³⁶ - أن الوفد الذي فاوض السلطان رجع قبل مجيء المولى علي بأيام حتى يهئ الظروف أمام هذا الوفد الجديد - المولى علي - الذي وصل في نهاية شهر أكتوبر 1830 م، أين استقبله سكان تلمسان بترحيب كبير خارج المدينة. Ibid, p 36.

³⁷ - حمدان خوجة، مصدر سابق، ص56.

³⁸ - استقر المولاي علي بقصر الباي قارة سليمان القديم، أما المحلة فعسكرت بفدان السبع بالقرب من سهل يعرف اليوم (بجي الزيتون)، كما حل الضباط والمستشارين بدار المخزن (اليوم بجانب السوق المغطاة) ينظر: Cour, op, cit, p 36.

³⁹ - Ibid, p36.

⁴⁰ - قبائل المخزن هي القبائل التي كانت واسطة بين الحكومة التركية وأهل البلاد فمهمتها جمع الضرائب وتحصيل المكوس مقابل امتيازات كعدم دفع الضرائب واستغلال أراضي البايك وفي قطاع الغرب الوهراني كانت قبائل المخزن مقسمة إلى قسمين رئيسيين هما المخزن الشرقي والمخزن الغربي ينظر: بن عودة المزاوي، مصدر سابق، ج2، ص275.

⁴¹ - السلاوي، مصدر سابق، ص287.

⁴² - تشرشل، مصدر سابق، ص54.

⁴³ - Cour, op, cit, p38.

⁴⁴ - المزاوي، المصدر السابق، ج2، ص88.

⁴⁵ - مصطفى بن التهامي، مصدر سابق، ص128.

⁴⁶ - السلاوي، مصدر سابق، ص289.

⁴⁷ - المزاوي، المصدر السابق، ج2، ص88.

⁴⁸ - السلاوي، مصدر سابق، ص289.

⁴⁹ - Cour, op, cit, p39.

⁵⁰ - Cour, op, cit, p40.

⁵¹ - لقد كان لخبر تواجد المغاربة بتلمسان ، صدى استياء كبير لدى الأوساط السياسية بفرنسا، فبعثت حكومة باريس إلى مفوضها بطنجة بمذكرة احتجاج يوم 31 جانفي 1831، ليعلن للسلطان سخط حكومته على هذا الصنيع ، وإنها تعتبر ذلك خرقا لمعاهدة السلم المبرمة سابقا بينهما وبين السلطان محمد بن عبد الله سنة (1191هـ-1777م)، وانتهاكا لحرمة الحدود الجزائرية وتوعدت على ذلك بإعلان الحرب ضد المغرب الأقصى وبالفعل بعثت بأسطولها مهددة ميناء طنجة في 11 جمادى الثاني 1247هـ-18 نوفمبر 1831م وجرت يومئذ بين السلطان وملك فرنسا رسائل دبلوماسية تتعلق بانسحاب القوات المغربية من تلمسان فتوجس السلطان من ذلك وخاف نشوب حرب بينه وبين فرنسا يصطدم فيها بقوة نظامية عصرية لا قبل له بها ، ينظر: CHARLES –robert ageron : op-cit, p 67

⁵² - CHARLES André julien: op-cit, p 82.

⁵³ - إبراهيم حركات ،رجع سابق ،ص ص 199 200.

⁵⁴ -ب روجرز ،تاريخ العلاقات البريطانية المغربية حتى عام 1900م، تر وتغ يونان لبيب رزق ،الشركة الجديدة دار الثقافة ،الدار البيضاء ،ط 1، 1981، ص191.

⁵⁵ - جاء في الحل عن المشرفي أن المولاي علي لم يستشر السلطان في رجوعه ، « ... فأمرهم بالخروج من تلمسان والرجوع إلى وجدة ومنها إلى فاس دون إذن من المولى عبد الرحمان ، فانتقد عليه السلطان ذلك الرجوع دون إذنه... » ينظر: المشرفي ،مصدر سابق ،ص 72.

⁵⁶ - إسماعيل عبد الحميد العلوي ،تاريخ وجدة وأنكاد في دوحة الأمجاد، ج1، مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء ،ط 1، 1986، ص 101.

⁵⁷ - CHARLES André julien: op-cit, p- 82.

⁵⁸ - تذكر المراجع أن القائد أحمد بن العامري وصل تلمسان في صحبة الحاج الشريف بن علي الوزاني والفقير أبا محمد عبد السلام البوعناني ،وكانت المحلة مكونة من 300 فارس . ينظر: المهدي البوعبدلي، مرجع سابق ، ص 20.

⁵⁹ - يبدو أن السلطان أعطى للعامري تعليمات بالإقامة في معسكر لأن الأوضاع في تلمسان لا تسمح ببقاء العامري فيها من جهة ، ومن جهة ثانية حتى يتوارى التواجد المغربي عن انظار الفرنسيين.

⁶⁰ -Cour ,op. cit ,p43.

⁶¹ CHARLES André julien: op-cit, p- 82.

⁶² - Cour ,op. cit ,p44.

⁶³ - Ibid ,pp 44 47.

⁶⁴ - السلاوي ،مصدر سابق ،ص290.

⁶⁵ - تشرشل ، مصدر سابق ، ص54.

⁶⁶ - نفس المصدر ،ص54.

⁶⁷ - المزاري ،مصدر سابق ، ص93.